ثانيًا: أعمال الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ:

لم يكن أمام الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ بعد توليه الخلافة من وقت للمراجعة والتأمل الطويل، إذ كانت جيوش المسلمين مشتبكة في معارك مع الروم على جبهة الشام، وكان المثنى بن حارثة قد جاء إلى المدينة لطلب النجدة لمعالجة الموقف على جبهة العراق بعد أن تنبه الفرس إلى خطورة الموقف، وأخذوا يحشدون قواتهم لمقاتلة المسلمين فيه، لذا فقد بدأ الخليفة عمر بن الخطاب بحشد كل طاقاته لمعالجة الموقف العسكري وتوجيهه على النحو الآتي:

1- حروب التحرير على جبهة العراق:

كان أول عمل باشره عمر بن الخطاب ﷺ بعد مبايعته بالخلافة أن دعا الناس إلى الانضمام إلى جيش المسلمين لمقاتلة الفرس في العراق، غير أن الناس تثاقلوا عن تلبية الدعوة، وذلك لأن وجه فارس كان "من أكره الوجوه إليهم، وأثقلها عليهم لشدة سلطانهم وشوكتهم وعزمهم وقهرهم الأمم"[1]. غير أن المثنى بن حارثة شجع الناس على الالتحاق بهذا الجيش وعمل على تبديد المخاوف من نفوسهم بقوله: "أيها الناس، لا يعظمن عليكم هذا الوجه، فإنا قد تبحبحنا ريف فارس، وغلبناهم على خير شقي السواد، وشاطرناهم، ونلنا منهم واجترأ من قبلنا عليهم، ولها إن شاء الله ما بعدها"[2]. كما تولى الخليفة عمر بن الخطاب حث الناس على الجهاد والمشاركة في هذه الحملة[3].

وقد سارع في اليوم الرابع من تاريخ الإعلان عن تجهيز أبو عبيد بن مسعود الثقفي إلى التطوع فيها وتبعه آخرون حتى بلغ عدد جنده ألف مقاتل. وقد جعل الخليفة قيادة هذا الجيش إلى أبي عبيد الثقفي على الرغم من أنه لم يكن من السابقين من المهاجرين والأنصار، وذلك لأنه بادر إلى التطوع للجهاد قبل غيره[4]، غير أنه أوصاه باستشارة من معه من الصحابة وبالتزام بعض القواعد الأساسية في القتال بقوله: "اسمع من أصحاب النبي ﷺ: وأشركهم في الأمر، ولا تجتهد مسرعًا حتى تتبين، فإنها الحرب، والحرب لا يصلحها إلا الرجل المكيث الذي يعرف الفرصة والكف"[5].

---

(1) الطبري: تاريخ، ج 3، ص 444.
(2) المصدر نفسه، ج 3، ص 445.
(3) المصدر نفسه، ج 3، ص 445.
(4) المصدر نفسه، ج 3، ص 445، البلاذري: فتوح البلدان، ص 251.
(5) الطبري: تاريخ، ج 3، ص 445.

لقد توجه أبو عبيد الثقفي على رأس جيشه إلى العراق بعد أن أصبحت له قيادة جبهة العراق وأصبح المثنى بن حارثة أحد القادة التابعين له. فكان "لا يمر بقوم من العرب إلا رغبهم في الجهاد والغنيمة فصحبه خلق"[1].

وقد استطاع جيش أبي عبيد أن يحقق بعض الانتصارات على الفرس أثر وصوله العراق في معركة النمارق، ومعركة السقاطية، مما أقلق الفرس وجعلهم يحشدون قوة كبيرة لملاقاة جيش المسلمين عند موضع يدعى المروحة حيث وقعت عنده إحدى المعارك المهمة التي عرفت بمعركة الجسر[2].

لقد أشارت المصادر إلى أن قوات الفرس كانت تقف على الجانب الشرقي من نهر الفرات، بينما كانت قوات المسلمين تقف على الجانب الغربي منه، ولأن حماس المسلمين كان قوياً لخوض المعركة، فإنهم قد قاموا باستخدام جسر لعبور النهر حيث دارت معركة حامية عند موضع القوات الفارسية، مما منح الفرس بعض المزايا في القتال. وقد ذكر أنه كان مع القوات الفارسية التي بلغ تعدادها أربعة آلاف رجل مدججين بأسلحة جيدة، فيل أو عدة فيلة، مما أدى إلى إربآك المقاتلين المسلمين لأنهم لم يعتادوا على رؤية هذه الحيوانات ومقاتلتها في الحروب. لذا فقد تكبدوا خسائر كبيرة، وحينما حاول قائدهم أبو عبيد الثقفي التصدي لأحد الفيلة وقتله، أصيب، وسقط شهيداً في المعركة[3]. وحين أراد المسلمون الانسحاب من المعركة، والعودة إلى الجانب الثاني من النهر، فوجئوا بأن أحد المسلمين كان قد بادر إلى قطع الجسر لتشجيعهم على الصمود وعدم الهرب، مما تسبب في إلحاق أضرار جسيمة بهم وخسارتهم لنتيجة المعركة[4]. وكان ذلك في رمضان، سنة 13هـ/ 634م، وقد تولى قيادة جبهة العراق بعد استشهاد أبي عبيد، المثنى بن حارثة الشيباني، حيث انحاز بالمسلمين إلى ناحية أليس، وأخذ يدعو العرب إلى الجهاد[5].

لقد أحزنت هزيمة المسلمين في هذه المعركة الخليفة عمر بن الخطاب كثيراً، حتى إنه مكث سنة لا يذكر العراق لمصاب المسلمين فيه، ويبدو أن ما جرى قد جعل عمر بن الخطاب يوقن بأنه بصدد مواجهة مصيرية حاسمة. لذا فإنه "ندب الناس إلى

(1) البلاذري: فتوح، ص 251.
(2) الطبري: تاريخ، ج 3، ص 446 – 454.
(3) البلاذري: فتوح، ص 252، الطبري: تاريخ، ج 3، ص 454 – 455.
(4) الطبري: تاريخ، ج 3، ص 455.
(5) البلاذري: فتوح، ص 253 – 254.

العراق، فجعلوا يتحامونه ويتثاقلون عنه حتى هم أن يغزو بنفسه، وقدم عليه خلق من الأزد يريدون غزو الشام فدعاهم إلى العراق، ورغبهم في غنائم آل كسرى، فردوا الاختيار إليه، فأمرهم بالشخوص، وقدم جرير بن عبد الله من السراة في بجيلة فسأل أن يأتي العراق على أن يعطى وقومه ربع ما غلبوا عليه فأجابه عمر إلى ذلك، فسار نحو العراق"[1].

ويبدو أن خطورة الموقف العسكري قد حملت عمر بن الخطاب ﷺ على تجاوز القاعدة التي وضعها أبو بكر الصديق في عدم الاستعانة بالقبائل التي ارتدت عن الإسلام في حروب التحرير، فكتب إلى أهل الردة يدعوهم للمشاركة في القتال، فلم يوافه أحد منهم الا أرسله إلى جبهة العراق لنجدة المثنى بن حارثة[2]. وبذلك استطاع عمر أن يحشد طاقات الأمة جميعها في ميدان الجهاد وبخاصة أن جميع المرتدين كانوا قد عادوا إلى حظيرة الإسلام، وأصبحوا يتطلعون إلى مشاركة إخوانهم في حروب التحرير.

وهكذا أخذت جبهة العراق تستعيد قوتها وحيويتها بكثرة من وفد إليها من المقاتلين، مما مكن المثنى بن حارثة من حشد طاقات المقاتلين استعداداً لمواجهة الفرس عند موضع على الفرات مما يلي الكوفة، يدعى البويب. وكان نهر الفرات يفصل بين قوات الطرفين، لذا فقد كاتب مهران قائد الفرس المثنى بن حارثة: "أما أن تعبروا إلينا وأما أن نعبر إليكم، فقال المثنى: اعبروا، فعبر مهران، فنزل على شاطئ الفرات معهم في الملطاط"[3]، "فاجتمع العسكران على شاطئ البويب الشرقي"[4].

وقد دارت على أرض هذا الموضع معركة عنيفة استبسل فيها المسلمون وقاتلوا قتال الأبطال من أجل الثأر لهزيمة المسلمين في معركة الجسر، وتأكيداً لوجودهم الذي أصبح في خطر. ويلاحظ أن الشعور القومي قد برز في هذه المعركة بصورة واضحة، إذ ساهم نصارى تغلب إلى جانب المسلمين في المعركة حين رأوا نزول العرب بالعجم، فقالوا: "نقاتل مع قومنا"[5]. كما عمد المثنى بن حارثة إلى الاستعانة بأنس بن هلال، فقال: "يا أنس، إنك امرؤ عربي، وإن لم تكن على ديننا، فإذا رأيتني قد حملت

(1) المصدر نفسه، ص 253.
(2) الطبري: تاريخ، ج 3، ص 460.
(3) المصدر نفسه، ج 3، ص 461.
(4) المصدر نفسه، ج 3، 463.
(5) المصدر نفسه، ج 3، 464.

على مهران فاحمل معي"[1].

لقد انتهت هذه المعركة بانتصار المسلمين انتصاراً حاسماً، وقتل فيها مهران قائد الفرس، وكان الذي قتله غلام نصراني من تغلب[2]. كما أن الفرس فقدوا فيها من القتلى أعداداً كبيرة، حتى أن جثثهم شكلت "تلولاً تلوح من هامهم وأوصالهم" كما يروى الطبري[3]. وبذلك عادت موازين القتال لتؤشر أن المستقبل قد غدا لصالح المسلمين، وأن عليهم أن يواصلوا الضغط على الفرس من أجل حسم المعارك على جبهة العراق بصورة نهائية لصالح المسلمين.

ومن ثم، فقد أخذ "المسلمون يشنون الغازات ويتابعونها فيما بين الحيرة وكسكر، وفيما بين كسكر وسورًا... وما بين الفلوجتين والنهرين وعين التمر... وكانوا يعيشون مما ينالون من الغازات... [4]"، حتى وقعت معركة القادسية. وقد استمرت هذه الحالة مدة ثمانية عشر شهراً حسبما يذكر البلاذري[5].

لا تتفق المصادر على تحديد التاريخ الذي وقعت فيه معركة القادسية على الرغم من أنها كانت أكبر وأخطر المعارك التي وقعت بين العرب والفرس، ففي حين يذهب الطبري إلى أنها وقعت سنة 14هـ[6]، يرى خليفة بن خياط أنها قد حصلت في سنة 15 هـ[7]، بينما يشير البلاذري إلى أن يوم القادسية كان في آخر سنة 16هـ[8]. وربما كان من الأرجح أنها وقعت سنة 15هـ بعد انتصار المسلمين في معركة اليرموك حيث مكنهم ذلك الانتصار من التفرغ لهذه المعركة وإرسال الإمدادات لها من جبهة الشام.

وتشير المصادر إلى أن الفرس كانوا قد حشدوا أعداداً كبيرة من المقاتلين لمحاربة المسلمين بعد أن استقر الحكم في الإمبراطورية الساسانية ليزدجرد، حتى إن رواية البلاذري أوصلت أعدادهم إلى زهاء مائة وعشرين ألف مقاتل مجهزين بأحسن الأسلحة ومعهم الخيل والفيلة وغير ذلك[9]، في حين تشير روايات خليفة بن خياط

(1) المصدر نفسه، ج 3، 466.
(2) المصدر نفسه، ج 3، 466.
(3) المصدر نفسه، ج 3، 467.
(4) البلاذري: فتوح البلدان، ص 255.
(5) المصدر نفسه، ص 255.
(6) الطبري: تاريخ، ج 3، ص 490.
(7) ابن خياط: تاريخ، ج 1، ص 101.
(8) البلاذري: فتوح، ص 256.
(9) المصدر نفسه، ص 256

إلى أن عددهم كان يتراوح ما بين أربعين ألفًا وستين ألفًا[1].

لقد قام الخليفة عمر بن الخطاب بمواجهة استعدادات الفرس بأن حشد في مواجهتهم قوة عسكرية، ذكرت بعض المصادر أنها كانت تتراوح بين ستة آلاف إلى عشرة آلاف[2]، وهو عدد يقل كثيراً عن عدد مقاتلي الفرس. ويبدو أن الخليفة عمر بن الخطاب كان يعول كثيراً على شجاعة المقاتلين المسلمين وارتفاع معنوياتهم بفضل عقيدة الإسلام التي حببت إليهم الجهاد والاستشهاد في سبيل الله.

وقد عين الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ، سعد بن أبي وقاص قائداً جديداً على جبهة العراق بدلاً عن المثنى بن حارثة، ربما لأنه كان مريضاً، وقد توفي قبل أن تبدأ معركة القادسية[3].

لقد وقعت هذه المعركة عند موضع قريب من الحيرة على حافة الصحراء على الضفة الغربية من نهر الفرات يدعى القادسية، ومنه أخذت معركة القادسية اسمها[4]. وتجمع المصادر على أن هذه المعركة كانت من أعنف المعارك التي خاضها المسلمون في مواجهة الفرس، وقد استمرت أربعة أيام، تواصل القتال في بعضها ليلاً ونهارًا. وقد انتهت بانتصار المسلمين نصرًا حاسما على الفرس[5]، مما أجبر القوات المنهزمة على الانسحاب إلى المدائن " طيسفون " التي كانت عاصمة الساسانيين للتحصن بها.

ولم يفوت المسلمون هذه الفرصة، فتابعوا القوات المنهزمة إلى المدائن وما زالوا يضيقون عليها الحصار حتى أرغموها على الاستسلام[6]، وفر منها يزدجرد ملك فارس إلى حلوان " معه أساورته وحمل معه بيت ماله وخف متاعه، وخزانته والنساء والذرارى، وكانت السنة التي هرب فيها سنة مجاعة وطاعون عم أهل فارس "[7].

لقد كان حريا بيزد جرد أن يعمل على وقف القتال بعد أن هزم جيشه في أكثر من معركة، وفقد عاصمة ملكه، إلاّ أن العناد غلبه فاستمر بتجهيز الحملات العسكرية المتوالية لمقاومة المسلمين، مما أدى إلى هزيمة جيشه مرة أخرى عند جلولاء[8]،

---

(1) ابن خياط: تاريخ، ج 1، ص 101.

(2) المصدر نفسه، ج 1، ص 101، البلاذري: فتوح، ص 256.

(3) الطبري: تاريخ، ج 3، ص 483 - 484.

(4) الانباري: تاريخ الدولة العربية، ص 87.

(5) الطبري: تاريخ، ج 3، ص 529 – 570، البلاذري: فتوح، ص 258 – 260.

(6) ابن خياط: تاريخ، ج 1، ص 103 – 104، البلاذري: فتوح، ص 263.

(7) البلاذري: فتوح، ص 262.

(8) المصدر نفسه، ص 264، ابن خياط: تاريخ، ج 1، ص 107.

وبذلك " لم يبق من سواد دجلة ناحية الا غلب عليها المسلمون وصارت في أيديهم "[1].

وهكذا فقد انتهت هذه المعارك بتحرير العراق من تسلط الفرس الساسانيين وانسحب يزد جرد وقواته إلى داخل الهضبة الإيرانية. ويبدو أن الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ كان يتمنى لو توقفت الحرب مع الفرس عند هذا الحد، غير أن الفرس أصروا على مواصلة القتال، مما اضطر المسلمين إلى خوض المعارك داخل الهضبة الإيرانية وبذلك تم فتح بلاد فارس والقضاء النهائي على الامبراطورية الساسانية خلال خلافة عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، حيث أصبحت جميع أقاليم الامبراطورية الساسانية جزءًا من أقاليم الدولة العربية الإسلامية[2].

إن مما يجدر ذكره في هذا السياق، إن مدينة الموصل وتكريت وبقية بلدان الجزيرة كانت واقعة في هذه الفترة تحت حكم الروم البيزنطيين، ومن ثم فقد كان من المفترض أن تقع مسؤولية تحيرها على عاتق جيوش تحرير الشام التي كانت تخوض قتالا ضاريا ضد قوات الروم.

غير أن انتصار قوات المسلمين في العراق في القادسية والمدائن، قد أدخل الرعب في نفوس البيزنطيين في الموصل والجزيرة وجعلهم يحركون قواتهم إلى تكريت استعدادًا لمواجهة قوات تحرير العراق في موقع متقدم. فلما بلغت هذه الأخبار إلى سعد بن أبي وقاص كتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب يخبره بأن "الأنطاق" قائد جند الروم البيزنطيين في الموصل قد توجه بقواته إلى تكريت ونزل في حصنها وخندق فيه ليحمي أرضها. فكتب الخليفة عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص بأن يرسل جيشًا لتحرير تكريت من الروم البيزنطيين بقيادة عبد الله بن المعتم، وأن يجعل على مقدمته ربعي بن الأفكل العنزي[3].

وقد تألف الجيش الذي قاده عبد الله بن المعتم لمحاربة الروم في تكريت من خمسة آلاف مقاتل، واستغرق وصولهم من المدائن إلى تكريت أربعة أيام. ويقدم لنا الطبري وصفًا مفصلا عن حصار قوات المسلمين لقوات الروم في تكريت الذي استغرق أربعين يوما دارت خلاله أربع وعشرون مواجهة لم تنته بانتصار أحد الطرفين.

---

(1) البلاذري: فتوح، ص 264.

(2) طه حسين: الشيخان، ص 156 – 157، ماجد: التاريخ السياسي للدولة العربية، ج 1، ص 202 – 206.

(3) الطبري: تاريخ، ج 4، ص 35 – 36.

وأخيرًا جاء دور العامل الذي حسم المعركة لصالح العرب المسلمين، حيث تحركت المشاعر القومية لدى أبناء القبائل العربية التي كانت متحالفة مع الروم، فجاؤوا إلى عبد الله بن المعتم يعرضون عليه الانسحاب من جيش الروم والانضمام إلى جيش المسلمين. يقول الطبري، إن عبد الله بن المعتم أرسل إلى العرب "ليدعوهم إليه وإلى نصرته على الروم فهم لا يخفون عليه شيئا، ولما رأت الروم أنهم لا يخرجون خرجة إلا كانت عليهم، ويهزمون في كل ما زاحفوهم، تركوا أمراءهم، ونقلوا متاعهم إلى السفن، وأقبلت العيون من تغلب وإياد والنمر إلى عبد الله بن المعتم بالخبر، وسألوه للعرب السلم، وأخبروه أنهم قد استجابوا له، فأرسل إليهم: إن كنتم صادقين بذلك فأشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وأقروا بما جاء به من عند الله، ثم أعلمونا رأيكم، فرجعوا إليهم بذلك، فردوهم إليه بالإسلام، فردهم إليهم، وقال: إذا سمعتم تكبيرنا فاعلموا أنا قد نهدنا إلى الأبواب التي تلينا لندخل عليهم منها، فخذوا بالأبواب التي تلي دجلة، وكبروا واقتلوا من قدرتم عليه..." [1] وبذلك تمكنت قوات المسلمين من دحر الروم البيزنطيين في تكريت وتحقيق النصر فيها على أعدائهم.

لقد فتح هذا النصر الطريق أمام المسلمين لتحرير الموصل من حكم الروم البيزنطيين. وكان هذا الهدف واضحًا ومرسوما منذ البداية، فقد عهد عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص "إن هم هزموا – أي الروم – أن يأمر عبد الله بن المعتم بتسريح ابن الأفكل العنزي إلى الحصنين"[2]، أي الموصل بحصنيها الغربي – الموصل القديمة –، والشرقي أي نينوى، حيث يقع جامع النبي يونس في الوقت الحاضر.

إن خطة تحرير الموصل كانت تعتمد عنصر المباغتة من أجل عدم اتاحة الفرصة أمام الروم البيزنطيين وحلفائهم من أجل الاستعداد للحرب وتنظيم المقاومة، وبذلك يتسنى للمسلمين تحقيق الانتصار من غير قتال أو تضحيات في الأرواح وقد أخذت الخطة موقف القبائل العربية المتعاونة مع المسلمين بعين الاعتبار إذ كان مقدرًا لابناء هذه القبائل أن يلعبوا دورًا حاسما في تمكين المسلمين من دخول الموصل من دون قتال لأنهم كانوا موضع ثقة الروم وأعوانهم في المدينة بحكم عدم معرفتهم بتغير ولائهم واعتناقهم الإسلام.

وهكذا فقد وصلت رسل من تغلب وإياد والنمر إلى الموصل قبل وصول قوات المسلمين وأخذت تبشر الناس بانتصار الروم على المسلمين من باب الخدعة، وبذلك

(1) المصدر نفسه، ج 4، ص 36.

(2) المصدر نفسه، ج 4، ص 36.

فتحت أبواب المدينة، وترك الروم الاستعداد للقتال حتى فاجأتهم قوات المسلمين بقيادة ربعي بن الأفكل، فدخلت المدينة من دون مقاومة تذكر، وتم تحرير الموصل صلحًا لا عنوة. يقول الطبري في وصف ذلك، فنادى المسلمون الناس "بالإجابة إلى الصلح، فأقام من استجاب، وهرب من لم يستجب، إلى أن أتاهم عبد الله بن المعتم، فلما نزل عليهم عبد الله دعا من لج وذهب، ووفى لمن أقام، فتراجع الهراب، واغتبط المقيم، وصارت لهم جميعًا الذمة والمنعة"[1].

إن ما تقدم، يشير إلى أنه تم تحرر تكريت والموصل سنة 16هـ/ 637م من قبل قوات تحرير العراق من التسلط الفارسي في إطار عملية استثنائية قامت بها ردًا على تحرك قوات الروم البيزنطيين. ومن ثم، فلم يكن من ضمن مهمات هذه القوات أن تتوسع في تحرير المناطق المحيطة بالموصل والجزيرة لأن ذلك ضمن واجبات القوات التي كانت تحارب الروم البيزنطيين في جبهة الشام. لذا فقد وصلتنا روايات تشير إلى قيام قوات هذه الجبهة بإرسال قوات لتحرير منطقة الموصل والجزيرة بقيادة عياض بن غنم في سنة 18هـ/ أو 20هـ/ 639م أو 630م. فقد ذكر خليفة بن خياط أن عمر بن الخطاب ﷺ: "وجه عياضًا فافتتح الموصل وخلف عتبة بن فرقد على أحد الحصنين، وافتتح الأرض كلها عنوة غير الحصن، فصالحه أهلها وذلك سنة ثمان عشرة"[2].

كما أورد البلاذري أن عمر بن الخطاب ﷺ ولى "عتبة بن فرقد الموصل سنة عشرين، فقاتله أهل نينوى، فأخذ حصنها، وهو الشرقي، عنوة، وعبر دجلة فصالحه أهل الحصن الآخر على الجزية والإذن لمن أراد الجلاء في الجلاء، ووجد بالموصل ديارات فصالحه أهلها على الجزية، ثم فتح المرج وقراه وأرض باهذرى وباعذرى وحبتون والحيانة والمعلة وداسير وجميع معاقل الأكراد، وأتى يانعاثا من حزة ففتحها، وأتى تل الشهارجة والسلق الذي يعرف ببني الحر بن صالح بن عبادة الهمداني صاحب رابطة الموصل ففتح ذلك كله وغلب عليه"[3].

إن النصوص الآنفة الذكر تشير إلى أن جند الشام الذين كان يقودهم عياض بن غنم قد قاموا بتحرير العديد من المناطق والقرى المحيطة بالموصل. وبذلك تكون قد استكملت ما بدأته قوات تحرير العراق التي أرسلت إلى تكريت والموصل في عام 16هـ.

(1) المصدر نفسه، ج 4، ص 37.

(2) ابن خياط: تاريخ، ج 1، ص 110.

(3) البلاذري: فتوح البلدان، ص 327.

غير أن مما يلفت النظر أن هذه النصوص قد أشارت أيضًا إلى مقاتلة جند عياض بن غنم أهل نينوى، مما يوحي بأن بعض سكان المنطقة قد نقضوا العهد الذي اعطوه لعبد الله بن المعتم سنة 16هـ/ 637م بعد أن انسحبت معظم قواته من المنطقة وعادت إلى قاعدة عملياتها الرئيسة في الكوفة. فاضطر عياض إلى استعمال القوة من أجل بسط السلطة والنظام في المدينة. وربما كان ذلك أمرًا طبيعيا في تلك المرحلة بسبب حداثة الحكم العربي للمدينة وعدم استيعاب بعض الناس للقيم الروحية والحضارية التي جاء بها الإسلام. أما عامة سكان الموصل وغيرها من المناطق التي كان يقطنها العرب المسيحيون فيبدو أنها قد استقبلت الحكم العربي الإسلامي بارتياح شديد لأنه أنقذهم من المظالم التي كانوا يتعرضون لها على أيدي الروم البيزنطيين بسبب اختلافهم في المذهب.

فقد جاء في "تاريخ مار ميخائيل الكبير" وهو بطريق أنطاكية اليعقوبي، وقد ألف هذا الكتاب في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي[1]، ما نصه: "وإن الله، إله النقمة الذي وحده له السلطان على كل شيء، وهو الذي يغير الملك كما يشاء ويعطيه لمن يشاء. ويقيم عليه الضعفاء، إذ رأى خيانة الروم الذين كانوا ينهبون كنائسنا وأديرتنا كلما اشتد ساعدهم في الحكم، ويقاضوننا بلا رحمة، جاء من الجنوب بأبناء اسماعيل لكي يكون لنا الخلاص من أيدي الروم بواسطتهم، أما الكنائس التي كنا قد فقدناها باغتصاب الخلقد ونيين إياها، فبقيت بيدهم، لأن العرب لدى دخولهم المدينة، أبقوا لكل طائفة ما بحوزتها من الكنائس. وقد فقدنا في هذه الفترة كنيسة الرها الكبرى وكنيسة حران، غير أن فائدتنا لم تكن يسيرة حيث أننا تحررنا من خبث الروم ومن شرهم وبطشهم وحقدهم المرير علينا وتمتعنا بالطمأنينة"[2]. يتضح من النص الآنف الذكر أن المسيحيين قد عدوا العرب المسلمين منقذين ومحررين لهم من ظلم واضطهاد الروم البيزنطيين وإن مما ثبت هذه النظرة أن المسلمين كانوا يعدون المسيحيين أهل كتاب، وإن الإسلام يفرض عليهم عدم التعرض لعقائدهم بالأذى، ومعاملتهم معاملة حسنة لأنهم يعيشون في ذمة المسلمين وعهدهم، على العكس مما كان يفعله الروم البيزنطيون.

---

(1) إفرام الأول بريصوم: اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية بغداد 1976، ص 130: ارنولد: الدعوة إلى الإسلام، ص 72 – 73.

(2) تاريخ مار ميخائيل الكبير (ترجمة: المطران صليبا شمعون)، نسخة مخطوطة بخط المترجم، ج 2، ص 146، علما بأن الكتاب قد قام بنقله ونشره باللغة الفرنسية القس يوحنا شابو.

فقد ذكر مار ميخائيل الكبير أن الروم البيزنطيين قد مارسوا شتى صور التعذيب والتنكيل ضد من يختلف معهم في المذهب من أبناء الطوائف المسيحية. فقد أصدر هرقل منشورًا للعمل بموجبه في كافة أنحاء مملكته، جاء فيه: "كل من لا يقبل مجمع خلقدونية، يقطع أنفه، وآذانه، وينهب بيته. واستمر هذا الاضطهاد مدة غير يسيرة، فقبل العديد من الرهبان المجمع، وظهر غش رهبان جماعة مارون والمنبجيين والحمصيين والمناطق الجنوبية، وهكذا قبل معظمهم المجمع، واغتصبوا الكنائس والأديرة، ولم يسمح هرقل لأحد من الارثوذكس بزيارته، ولم يقبل شكواهم بصدد اغتصاب كنائسهم"(1).

إن ما تقدم يوضح الابعاد الدينية والإنسانية فضلا عن البعد القومي الذي حمل العرب المسيحيين في العراق والشام وغيرها على التعاون مع العرب المسلمين والترحيب بهم بصفتهم محررين ومنقذين لهم من الظلم والاضطهاد الذي عانوا منه طويلاً على أيدي الروم البيزنطيين.

2- حروب التحرير على جبهة الشام:

حين تولى عمر بن الخطاب ﷺ الخلافة كانت الجيوش الإسلامية في الشام قد سجلت أحد أبرز انتصاراتها على الروم في معركة أجنادين، وراحت تستثمر آثار هذا الانتصار في محاولة القضاء على القوة البيزنطية في مختلف أنحاء بلاد الشام. فذكر البلاذري أن قوات المسلمين استطاعت أن تهزم الروم في معركتين كبيرتين في "وقعة فحل من الأردن"(2)، "ومرج الصفر وهم متوجهون إلى دمشق"(3).

وبينما كانت قوات المسلمين تحاصر مدينة دمشق، وقد أوشكت أن تدخلها صلحًا بعد أن أبدى سكانها رغبتهم في المصالحة، وكانت القيادة بيد خالد بن الوليد وصلت رسالة من الخليفة عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة بن الجراح الذي كان أحد قادة الجيوش التي تعمل تحت إمرة خالد بن الوليد، وهو أحد كبار صحابة رسول الله ﷺ، يعلمه فيها أنه قد عينه قائدًا عامًا على القوات المكلفة بتحرير بلاد الشام بدلا عن خالد بن الوليد(4).

وقد ذكر البلاذري أن أبا عبيدة بن الجراح حين تسلم رسالة عزل خالد بن الوليد

(1) المصدر نفسه: ج 2، ص 146.
(2) البلاذري: فتوح البلدان، ص 122.
(3) المصدر نفسه، ص 125.
(4) ابن خياط: تاريخ، ج 1، ص 94.